# ليس بكيل يعطي الله الروح

المكاييل والموازين والمقاييس هي جميعها أدوات يستعملها الإنسان منذ فجر البشرية بهدف تحديد الأحجام والأوزان والأطوال لاستخدامها في المجالات التجارية، والهندسية، والطبية. والحقيقة أن كل تلك المعايير ـ مثلها مثل الزمن ـ هي معايير ومقاييس تخص العالم المادي دون الروحي. فالله غير المحدود لا يوجد فيه لا قياس ولا وزن. بالتالي تتجاوز عطيته ونعمته كل كيل وقياس كما هو مكتوب: "من قاس روح الرب" (أش ٤٠:١٣).

مفهوم الفيض هو مفهوم يصعب على العقل البشري استيعابه لأنه اعتاد أن يعيش في شُحٍ. ولعل الشح كان نتيجة طبيعية للسقوط. فلما كان آدم في الجنة كان يعيش في فيض كل شيء ليس فقط على مستوى الماديات ولكن أيضاً على مستوى الروحيات. فلست أتصور أنه كان يحتاج آنذاك لمكيال أو حبل قياس. أما بعد السقوط فكانت العقوبة هي فقدان كل فيض والخضوع لقانون الشح: "بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك...بعرق وجهك تأكل خبزاً" (تك٣: ١٧،١٩). ومنذ ذلك الحين والعقل البشري في تعامله مع الله لا يتوقع سوى الشح والتضييق، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله بنو إسرائيل عندما أنزل له المن في البرية حيث أنهم لم يستوعبوا مبدأ الفيض، ولا تصوروا مدى كرم الله فاختزنوا لأنفسهم المن فتولد فيه الدود وأنتن.

وفي قصة عبور حزقيال النبي للمياه الخارجة من تحت عتبة البيت كف الرجل الذي بيده قصبة القياس عن القياس حيث صار النهر مياه طامية لا تعبر كرمز لفيض عمل الروح القدس الذي لا يُحد بقياس (حز٤٧: ١-٦). كذلك اعتاد الكتاب المقدس في وصف عمل الروح القدس استخدام كلمات تعبر عن الفيض مثل ينابيع الخلاص، أنهار ماء حية، ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية...إلخ وكلها تعبيرات تؤكد الاستمرارية وعدم النضوب. وبولس الرسول أيضاً يتحدث في مواضع كثيرة في رسائله عن غنى المسيح واصفاً إياه في رسالة أفسس أنه "لا يُستقصى" (أف ٣:٨). ولكي يقرب لنا السيد المسيح مفهوم فيض الروح استخدم مصطلحات القياس، برغم عدم خضوع الروح للقياس، فقال: "أعطوا تعطوا كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يُعطون في أحضانكم" (لو٦:٣٨).

ولعل فيض الروح هو ما أدركه مار اسحق السرياني عندما قال: "لا تطلب الحقيرات من العظيم لئلا تهينه"، وهو الذي دفع الله ليلح على كل واحد فينا كما ألح على آحاز في القديم: "عَمِّق طلبك أو رفِّعه إلى فوق" (أش٧:١١)، وهو الذي دفع أليشع ليحث أرملة النبي: "لا تقللي" (٢مل٤:٣)، والسيد المسيح لكي يعاتبنا: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي" (يو١٦:٢٤).

نعم حقاً نباركك يا ربنا يسوع المسيح لأنه من قِبَل تجسدك وموتك وقيامتك وصعودك إلى السماوات رفعت عنا لعنة الشح والتقطير التي لحقت بنا من جراء الخطية وأفضت علينا نعمة روحك القدوس بما هو أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب غناك في المجد.